

# Baldwin I and His Geographical Expansion towards the Southeastern Regions of the Kingdom of Jerusalem (1100-1118 AD)

Mohammed Khader Mohammed Al-Zuhair  
Department of History, Faculty of Arts  
University of Jordan, Jordan  
mohammedalzuhair@yahoo.com

Abd Al-Hadi Nayef Al-Qa'aydeh  
Department of History, Faculty of Arts  
University of Jordan, Jordan  
a.alqaiadeh@ju.edu.jo

Received 16/10/2024

Accepted 16/6/2025

## Abstract:

This study explores the territorial growth of King Baldwin I (1100-1118 CE) in the southeastern area of the Kingdom of Jerusalem, encompassing current parts of southern Jordan, including Karak, Shobak, and Ayla. It emphasizes the strategic, geographical, and economic significance of these regions and their contribution to Baldwin's expansionist objectives to solidify his emerging kingdom and improve its stability. The research examines the factors and incentives that drove Baldwin towards this expansion, including military goals to safeguard the kingdom's boundaries, political aims to separate the Fatimid state from other Islamic entities, and economic aims to secure reliable resources that would sustain the Crusader kingdom's persistence. The study also explores the responses of regional authorities, especially the Fatimids and Abbasids, and highlights the factors contributing to the frailty of the Islamic resistance during that period. The research utilizes an analytical historical approach, relying on both Arab and foreign historical references, as well as contemporary studies. It concludes that Baldwin's expansion was not solely a military action, but a fundamental aspect of a wider expansionist initiative focused on dominating essential trade and religious pathways and solidifying the Crusader foothold in the area based on military, economic, and settlement principles.

**Keywords:** Baldwin I, southeast of the Kingdom of Jerusalem, Al-Karak, Shobak, Aila, Tughtakīn Atābak, the First Crusade.

# بلدوين الأول وتمدده الجغرافي تجاه مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس (1100 - 1118م)

محمد خضر محمد الزهير  
قسم التاريخ كلية الآداب  
الجامعة الأردنية، الأردن  
mohammedalzuhair@yahoo.com

عبد الهادي نايف القعايدة  
قسم التاريخ كلية الآداب  
الجامعة الأردنية، الأردن  
a.alqaiadeh@ju.edu.jo

الاستلام : 2024/10/16

القبول : 2025/6/16

## المخلص:

يتناول هذا البحث التمدد الجغرافي للملك بلدوين الأول (1100 - 1118م)، في منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس، التي تشمل حالياً أجزاء من جنوبي الأردن مثل: الكرك، والشوبك، وأيلة، مسلطاً الضوء على الأهمية الإستراتيجية والجغرافية والاقتصادية لهذه المناطق، ودورها في تحقيق أهداف بلدوين التوسعية لتأمين مملكته الناشئة وتعزيز استقرارها. وقد ركزت الدراسة على تحليل الأسباب والدوافع التي قادت بلدوين نحو هذا التوسع، التي تنوعت بين أهداف عسكرية لحماية حدود المملكة، وسياسية لعزل الدولة الفاطمية عن القوى الإسلامية الأخرى، واقتصادية لضمان موارد مستقرة تدعم استمرارية المملكة الصليبية. كما تناول البحث ردود فعل القوى المحلية، خاصة الفاطميين والعباسيين، وسلط الضوء على أسباب ضعف المواجهة الإسلامية في تلك المرحلة. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مستندة إلى مصادر تاريخية عربية وأجنبية، إضافة إلى الدراسات الحديثة. وتوصلت إلى أن توسع بلدوين لم يكن مجرد تحرك عسكري، بل كان جزءاً من مشروع توسعي متكامل استهدف فرض السيطرة على مفاصل الطرق التجارية والدينية، وترسيخ الوجود الصليبي في المنطقة على أسس عسكرية واقتصادية واستيطانية.

**الكلمات المفتاحية:** بلدوين الأول، جنوب شرق مملكة بيت المقدس، الكرك، الشوبك، أيلة، التوسع الجغرافي، الحملة الإفريقية الأولى.

## المقدمة

### أهداف الدراسة:

### أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذا البحث من تركيزه على جانب تاريخي لم يُتناول بشكل مستقل وشامل في الدراسات السابقة، وهو التمدد الجغرافي للملك بلدوين الأول، نحو مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، التي تشمل الكرك، والشوبك، وأيلة. وتتمثل الأهمية في تسليط الضوء على الأبعاد الإستراتيجية والجغرافية والاقتصادية لهذه المناطق، ودورها المحوري في دعم الاستقرار السياسي والعسكري للمملكة الصليبية خلال فترة تأسيسها. كما يسهم البحث في الكشف عن طبيعة التفاعلات بين القوى الصليبية والقوى الإسلامية المحلية، خاصة الفاطميين والعباسيين، ويُظهر كيف أسهمت هذه التوسعات في إعادة تشكيل الخريطة السياسية لمنطقة بلاد الشام في بدايات القرن الثاني عشر الميلادي. ومن خلال اعتماد البحث على مصادر تاريخية متنوعة، وتحليل معمق؛ فإنه يقدم إضافة نوعية للمكتبة التاريخية في مجال دراسات الحروب الصليبية، والتمدن الصليبي في المشرق العربي.

### منهج البحث:

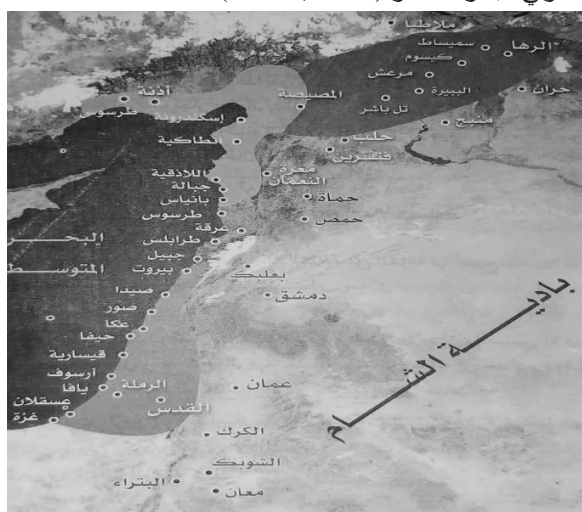
يتناول هذا البحث دراسة فترة حكم الملك بلدوين الأول (494-512هـ / 1100 - 1118م) في مملكة بيت المقدس، مع التركيز على

- تحديد الأهمية الجغرافية لمنطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس؛ من خلال دراسة موقعها ومكانتها ضمن طرق التجارة والحج في العصور الوسطى.
- تحليل الأبعاد الإستراتيجية والعسكرية لهذه المنطقة، وبيان سبب استهدافها من قبل بلدوين الأول في إطار مشروعه التوسعي.
- تسليط الضوء على الدوافع السياسية والاقتصادية وراء توسع بلدوين الأول، وفهم العلاقة بين هذا التوسع وبناء القلاع والتحصينات في المنطقة.
- رصد ردود فعل القوى الإسلامية المحلية، خاصة الفاطميين والعباسيين، تجاه التحركات الصليبية في هذه الجبهة.
- إبراز ملامح المشروع التوسعي الصليبي كخطة متكاملة تهدف إلى ترسيخ السيطرة الفرنسية على مفاصل جغرافية واقتصادية مهمة، وليس مجرد احتلال عسكري عابر.
- تقديم إضافة نوعية للدراسات التاريخية عبر معالجة موضوع لم يُتناول سابقاً بهذا التفصيل، والاعتماد على مصادر عربية وأجنبية متنوعة.

1. الطريق البحري الذي يربط الجزيرة العربية وشرق إفريقيا والهند بعالم البحر المتوسط، ويفترّع منه طريق بري تمر عبر القوافل المتجهة من حضرموت واليمن والحجاز، مروراً بالأراضي الأردنية، وصولاً إلى بلاد الشام وموائها في سوريا ولبنان وفلسطين.

2. أما المحور الثاني: فهو الطريق الذي يربط العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام مع موانئ البحر المتوسط (Al-Bahiri, 1994).

ويدخل هاذان المحوران الرئيسان في حدود موقع جنوب شرق مملكة بيت المقدس، التي يحدّها من الشمال وادي الموجب، ومن الغرب وادي عربة (Fiema, 1991)، ومن الشرق وادي السرحان (باير) (Borsock 1983)، ومن الجنوب خليج العقبة، ويحدّها من الجانب الشرقي البحر الأحمر (Fiema, 1992)



الخريطة ذات الرقم (2) تبين الشرق زمن الوجود الإفريقي،

انظر: (Al-Sarjani, 2008)

تتميّز منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس بمناخها الجاف والحر؛ نتيجة تأثير الرياح الخماسينية المحملة بالغبار. وفي الصيف، يتراوح معدل درجات الحرارة في هذه المنطقة حول (30) درجة مئوية تقريباً. كما تُعرف هذه المنطقة بترتبتها الحمراء ذات الرطوبة العالية، التي تتأثر بتساقط كميات متوسطة من الأمطار خلال فصل الشتاء. بسبب هذه الظروف المناخية، تُعد الزراعة إحدى الوسائل الأساسية لكسب العيش لسكان هذه المناطق (Shehadeh, 1985).

كانت منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس مأهولة بالسكان عبر التاريخ، واعتُبرت جزءاً من دولة الأنباط حتى سقوطها في عام (106م). سكن المنطقة بشكل رئيسي القبائل العربية والمستعربة، بالإضافة إلى نصارى العرب أو روم العرب، الذين تعود أصولهم إلى الرومان. رغم ذلك، بقيت القبائل العربية، مثل: جذام، وعذرة، وسليح، وبلقين، وبلي، وعاملة، والغساسنة، ولخم، وكندة، هي العنصر الأساسي المكون للمنطقة تاريخياً. ويشير خريسات إلى أن وجود السكان في هذه المنطقة؛ يعكس توافر وسائل الحياة فيها (Khreisat, 1985).

تميّز موقعها التجاري الاقتصادي:

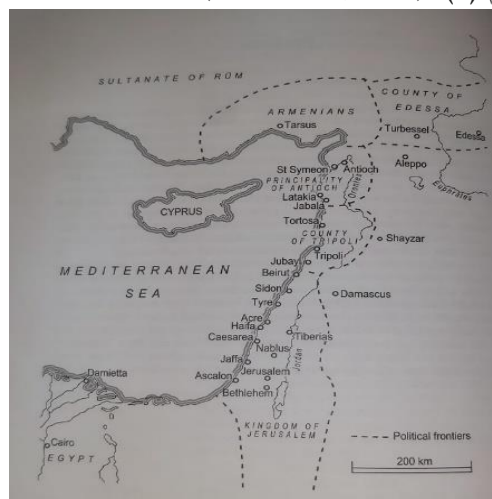
التوسع الجغرافي الذي شهدته المملكة نحو مناطق جنوب شرق بيت المقدس، واعتمد البحث على المنهج التاريخي في تحليل الأحداث التاريخية المتعلقة بالفترة المدروسة، وقد استُخدمت الطريقة الوصفية لتتبع الأحداث والوقائع التاريخية، بينما استخدمت الطريقة التحليلية لدراسة أسباب التوسع العسكري، وأثره على الوضع السياسي والعسكري في المنطقة، واعتمد البحث أيضاً على تحليل المصادر التاريخية الأولية، والكتب الحديثة حول الحروب الصليبية وتاريخ مملكة بيت المقدس.

## أقسام الدراسة:

تضمّنت الدراسة تمهيداً وسبعة محاور، تناولت خلالها جهود بلدوين في الاستيلاء على مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس. وقد استندت الدراسة إلى مصادر ومراجع متنوعة شملت العربية، والمعرّبة، والأجنبية، واختُتمت البحث بخاتمة ونتائج تعكس أهم ما توصلت إليه الدراسة.

## الموقع:

قبل التوسع الجغرافي الذي شهدته مملكة بيت المقدس في عهد بلدوين الأول، كانت الولايات اللاتينية (الإمارات الصليبية) في المشرق العربي قد بدأت في التكوّن بعد الحملة الصليبية الأولى (1096-1099م)، وهذه الحملة كانت تهدف إلى تحرير الأماكن المقدسة في فلسطين، وأدت إلى تأسيس عدد من الإمارات والممالك التي خضعت لحكم الصليبيين في الأراضي التي احتلوها. كما هو مبين في الخريطة ذات الرقم (1). (El-Bishawi, 2012)



الخريطة ذات الرقم (1) تبين المشرق العربي زمن الوجود الإفريقي قبيل

توسعه انظر: (Albert of Aachen's 2013)

يمثل موقع جنوب شرق مملكة بيت المقدس المناطق الواقعة حالياً في جنوبي شرقي الأردن، بما في ذلك الكرك، والشوبك، وأيلة، ويتميز هذا الموقع بخصائص جغرافية فريدة تتعلق بطرق الحج والمواصلات، إضافة إلى الطرق التجارية والعسكرية. كما يظهر بوضوح في الخريطة ذات الرقم (2).

ويلاحظ أن الأراضي الأردنية لها محوران رئيسان هما:

الأحمر إلى جدة. أما الثاني: فهو الطريق البري الساحلي، حيث يعبر الحجاج عبر فلسطين إلى ميناء أيلة، ثم يتابعون طريقهم إلى مكة المكرمة. إجمالاً، يبرز هنا الدور الإستراتيجي والتاريخي للمنطقة كمحور حيوي لحركة الحج والتواصل بين الشرق والغرب الإسلامي؛ مما يجعلها مركزاً رئيسياً في تاريخ التجارة الدينية، والانتقال عبر العالم الإسلامي (Ibn Battuta, 2003).

تعدّ الأردن المنفذ الوحيد لقوافل الحجّ الشامي القادمة من بلاد الأناضول وحلب وديار بكر، حيث كان الحجاج يحملون معهم أصنافاً متنوعة من السلع. وكانت هذه القوافل تتجمع في منطقة مزيريب قرب أذرعان وحروران، حيث تقام أسواق لتبادل السلع بين الحجاج. بعد ذلك، يتابع الحجاج رحلتهم نحو الجنوب مروراً بالرمثا، ثمّ الزرقاء حيث يتوقفون في استراحة مخصّصة للحجاج. ثمّ يتجهون إلى منطقة زيزيا للاستراحة فيها أيضاً، ويواصلون رحلتهم إلى اللجون ثم الكرك، حيث ينزلون في منطقة الثنية. بعدها يتابعون سيرهم إلى معان، فتبوك، حتى يصلوا إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة. ويبرز هنا دور الأردن كحلقة وصل حيوية في حركة الحج الشامي، حيث كانت نقطة استراحة أساسية للقوافل القادمة من مناطق مختلفة (Gwanama, 1982).

يحدّد وليد العريض منازل الحج الشامي في الأراضي الأردنية، كما وردت في رحلة أوليا جلبي في القرن السابع عشر (1671-1672م)، وهي: مزيريب، الطرّة، حاتمة الطي، المفرق، الزرقاء، خان عين الطير، زيزياء، القطرانة، الكرك، قلعة تابوت، قلعة عنيزة، معان، والعقبة. كانت هذه المحطات تحتوي على استراحات للحجاج، وقد عُرفت لاحقاً بمنازل الحج الشامي (Al-Aree'dh, 2021).

وتقع هذه المنازل على طريق الحج الشامي، الذي يعدّ جزءاً من طريق التجارة القديم الواصل بين سوريا والجزيرة العربية عبر الأردن. وقد اشتهر هذا الطريق في عهد الموابيين باسم "طريق الملوك"، أو "الطريق السلطاني". ويبدأ الطريق من دمشق مروراً بسهل حروران، ثمّ جلعاد، ثمّ مواب، ثمّ تبوك، ليكمل بعدها الطريق إلى الجزيرة العربية. بجانب هذا الطريق، هناك طريقان آخران يربطان الأردن بالجزيرة العربية، هما:

1. الطريق الذي يمرّ عبر أيلة إلى الحجاز عبر ساحل البحر الأحمر.
2. الطريق الثاني الذي يمرّ عبر الأزرق إلى تيماء، ثمّ الحجاز، ويُوصف هذا الطريق بأنه "طريق المسلمين إلى مكة".

(Khreisat, 2000)

ونتيجة لذلك، اهتمّ المسلمون بهذه المنطقة تاريخياً، خاصة خلال فترة الدولتين العباسية والفاطمية.

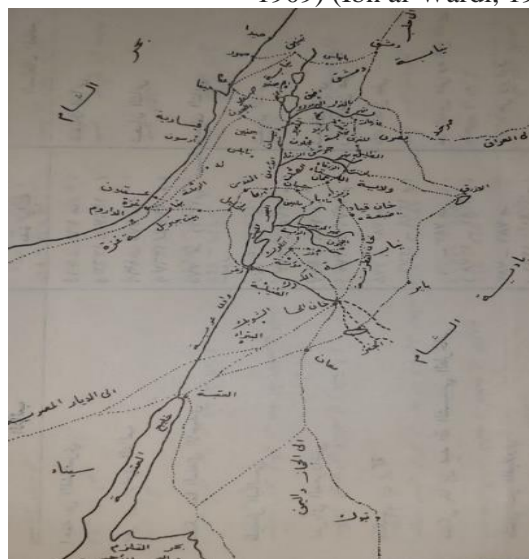
#### اهتمام العباسيين والفاطميين بالمنطقة:

كان اهتمام الدولتين العباسية والفاطمية بمنطقة جنوبيّ شرقيّ الأردن، وبشكل خاص بمدينة أيلة، نابغاً من موقعها الجغرافي الذي يتوسط منطقتي بلاد الشام ومصر، وكان هذا الموقع الإستراتيجي يجعلها

اكتسبت منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس أهمية كبيرة بسبب موقعها الجغرافي الإستراتيجي، حيث تعدّ مفترق طرق بين مصر والشام والعراق والجزيرة العربية. وتعتبر المنطقة شرياناً مهماً لحركة القوافل التجارية البرية القادمة من الجزيرة العربية نحو دمشق. كما تؤدّي دوراً محورياً في التجارة البحرية عبر البحر الأحمر وأيلة إلى الساحل الشامي. وقد استخدم العرب هذه المنطقة في طريقهم إلى الحجاز، بدءاً من أيلة جنوبيّ الأردن، ثمّ شمالاً بمحاذاة غور الأردن، ثمّ تجاه عمان وصولاً إلى أطراف دمشق، ثمّ شرقاً نحو الفرات، ومنها جنوباً حتى البصرة. ويبرز هنا دور منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس في تسهيل حركة التجارة والانتقال بين المناطق المختلفة؛ مما يعكس أهميتها في العلاقات الاقتصادية والتجارية في ذلك الوقت. كما هو مبين في الخريطة ذات الرقم (3) (Gwanama, 2011).

#### تفرّدتها الجغرافي:

يشير المقدسي إلى تفرّد هذه المنطقة من خلال وصفها بالعمران ووجود المدن المأهولة بالسكان، حيث سماها "بادية العرب" ليزيل أي خلاف حول نسبتها سواء إلى الجزيرة العربية أم الشام. وأضاف المقدسي أنّ هذه البادية تحتوي على مياه وغدران وعيون ماء وتلال وقرى ورمال، إلّا أنّ مياهها رديئة وقد تجف في بعض الأحيان، ومن جانبه، قال ابن الوردي: "أرض البادية هي ما بين أرض الشام والحجاز، وتسمى أرض الحجر"، وأضاف أنّ أرض الشام هي إقليم عظيم (Al-Maqdisi, 1909) (Ibn al-Wardi, 1939).



الخريطة ذات الرقم (3) تبين الطرق التجارية والمواصلات في منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس، انظر (Gwanama, 2011)

#### طريق قوافل الحجيج:

تعدّ المنطقة نقطة التقاء مهمة لحجاج المغرب والأندلس ودول شماليّ إفريقيا بشكل عام، حيث كان الحجاج القادمون من مصر يتبعون طريقين رئيسيين، الأول: هو الطريق الساحلي الذي يعتمد على السفن النيلية التي تنقل الحجاج إلى منطقة عيذاب، ومنها يعبرون البحر

ومن خلال هذا التوسع، استطاع الفاطميون تعزيز قوتهم بشكل ملحوظ، ومناقسة العباسيين في سعيهم المستمر لتعزيز سلطتهم وتأمين السيطرة على خطوط التجارة المهمة (AI-Saad, 1997).

ارتبطت بلاد الشام ومصر في العهد الفاطمي بعلاقات تجارية واسعة مع مناطق الشمال الإفريقي والأندلس. فقد اعتمدت الدولة الفاطمية بشكل كبير على التجارة الخارجية لتأمين احتياجاتها من السلع المختلفة، وفي الوقت ذاته كانت تصدر منتجاتها إلى الخارج. وقد أدت دمشق دورًا حيويًا في التجارة الخارجية للدولة الفاطمية؛ مما جعل السيطرة على مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس أمرًا ضروريًا. حيث إن هذا الموقع الإستراتيجي كان يسهم بشكل كبير في تسهيل حركة التجارة، ويمنح الفاطميين القدرة على تأمين طرق التجارة المهمة، سواء أكانت بريّة أم بحرية. ونستنتج أنّ مصالح الدولة الفاطمية ارتبطت بنجاحها في إدارة التجارة، وكان موقعها الجغرافي في بلاد الشام ومصر يعزز من قدرتها على التفاعل مع مناطق أخرى مثل الشمال الإفريقي والأندلس. ومن خلال السيطرة على مواقع إستراتيجية مثل جنوب شرق مملكة بيت المقدس، تمكّن الفاطميون من تأمين خطوط التجارة الحيوية؛ مما عزز من قوتهم السياسية والاقتصادية في المنطقة (AI-Naqqar, 2002). لهذا سيطر الفاطميون في عهد الخليفة المعز لدين الله على أيلة، بوصفها بوابة فلسطين على البحر الأحمر والجزيرة العربية؛ إذ تنبها لأهميتها التجارية؛ فهي تستقبل البضائع، ثم تعيد نقلها إلى باقي الموانئ في غزّة وبافا وعكا، وتقوم بتصدير البضائع إلى مصر والحجاز واليمن، لذلك بنى فيها الفاطميون ديوانًا للمكوس، وذلك لتمكيس السلع الصادرة والواردة عبر ميناء أيلة (Gwanmeh 1984).

### المناطق التي تشملها الدراسة:

تشمل الدراسة ثلاث مناطق جغرافية رئيسية، هي: (الكرك، والشوبك، وأيلة)، للوقوف على ميّزة كلّ منطقة وأهميتها للموضوع، وتناولها من الشمال وصولاً إلى الجنوب:

#### • الكرك:

ذكرت بعض المصادر القديمة، ومنها التوراة\*، مدينة الكرك بأسماء متعددة مثل: "قبر حارسه"، و"قبر حارس"، و"قبر حرس". وتشير كلمة "قبر" إلى الحصن أو القلعة، بينما تعني "حارسه" البناء المرتفع، مما يدل على أنّ الاسم يشير إلى قلعة عالية أو بناء محصن مشيد فوق تلّ (Ghawanmeh, 2011).

وقد ذكر بعض المؤرخين تفسيراً آخر لكلمة "كرك"، حيث تعود في أصلها إلى الكلمة الآرامية "كرخا"، التي وردت في نقش حجر مؤاب. ثمّ تحولت إلى كلمة "الكرك". في اللغة الآرامية، تعني "كرخا" المدينة المسورة (Hitti, 1959). وذهب آخرون إلى أنّ "الكرك" مشتقة من الكلمة الآرامية "كاركو"، التي تعني القلعة. وقال بعضهم أيضاً إنّ الكلمة تعود إلى "راخات"، التي تحولت إلى "الكرك"، وتدلّ على مدينة محصنة. وبالتالي، يمكن القول إنّ جميع الكلمات الآرامية، رغم اختلاف حروفها،

نقطة وصل بين طرق التجارة البرية عبر آسيا، والتجارة البحرية عبر البحر الأحمر والخليج العربي. وقد تولى العباسيون السيطرة على هذه الطرق التجارية الدولية؛ مما عزز من أهمية المنطقة في التبادل التجاري والديني. ومع ضعف الدولة العباسية، استولى أحمد بن طولون، والي العباسيين في مصر، على بلاد الشام بين عامي (878-905م)، وأظهر الطولونيون اهتمامًا خاصًا بمدينة أيلة؛ نظرًا لموقعها الحيوي على طرق الحج والتجارة. ومن أجل تسهيل الوصول إليها؛ قام أحمد بن طولون بإنشاء طريق جديد على حافة جبل أم نصيلة، وسُمي "طريق عقبة أيلة". وتظهر هنا أهمية مدينة أيلة كمفتتح طرق حيوي في الشرق الأوسط، حيث كانت تجمع بين التجارة البرية والبحرية من جهة، وحركة الحج من جهة أخرى، كما تظهر كيفية اهتمام العباسيين والطولونيين بالمنطقة؛ لضمان السيطرة على هذه النقاط الإستراتيجية التي كان لها تأثير كبير في الحياة الاقتصادية (Mahasneh, 2000).

كانت الدولة الفاطمية منافسًا رئيسيًا للدولة العباسية في الصراع على الخلافة الإسلامية، وهو ما جعلها تسعى لإثبات نفسها كقوة سياسية ودينية. في ظل هذه المنافسة، أُرسِيَ نظام الملكية الخاصة في الدولة الفاطمية، حيث كان للحاكم بأمر الله دور بارز في تأسيس هذا النظام. من أبرز الأمثلة على ذلك إنشاء ديوان "المفرد" لإدارة الأموال والممتلكات المصادرة؛ مما يعكس التنظيم الدقيق للممتلكات وحمايتها تحت سيطرة الدولة. في هذا السياق، يُظهر خطاب جوهر الصقلي، القائد الفاطمي، الذي خاطب أهل مصر قائلاً: "ولكم عليّ أمان الله التام العام، الدائم، المتّصل، الشامل الكامل المتجدّد المتأكد على الأيام، وبمرور الأعوام وفي أنفسكم وأموالكم وأهلكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم"، ومن خلال هذا النظام الملكي الخاص، كان للفاطميين القدرة على التوسع نحو مناطق إستراتيجية، مثل جنوب شرق مملكة بيت المقدس. وهذا التوسع كان جزءًا من سعي الفاطميين لتعزيز سلطتهم في مواجهة العباسيين، وتأمين طرق التجارة الحيوية، وضمان السيطرة على الأماكن المقدسة، التي كانت تعد ذات أهمية كبيرة بالنسبة للمسلمين. ومن خلال هذا التنظيم الدقيق للأموال والممتلكات، استطاعوا إقامة قاعدة قوية لتحقيق أهدافهم العسكرية والاقتصادية في المنطقة (AI-Maqrizi, 2006).

إنّ اتساع رقعة الدولة الفاطمية وزيادة نفوذها؛ كان نتيجة مباشرة لنشأتها في مناطق قريبة من جنوب شرق مملكة بيت المقدس. ومن خلال هذا الموقع الإستراتيجي، تمكّن الفاطميون من التوسع تدريجيًا نحو هذه المناطق الحيوية. وقد أثر هذا التوسع العسكري والسياسي بشكل كبير على العلاقات مع الدولة العباسية، التي كانت منافسًا قويًا في ذلك الوقت. وقد أدى هذا التنافس بين الدولتين إلى صراع على النفوذ في مناطق مهمة مثل جنوب شرق مملكة بيت المقدس. وبالتالي، لم يكن النزاع بين الفاطميين والعباسيين مجرد صراع على الخلافة الدينية، بل كان أيضًا صراعًا على السيطرة على الأراضي وطرق التجارة الأساسية.

\* انظر: الكتاب المقدس سفر الملوك الثاني الإصحاح (3) العدد (25)، سفر اشعيا الإصحاح (16) العدد (7) و(11)، سفر أرميا الإصحاح (48) العدد (31) و(36).

أراضيها بخصوبتها الملائمة لبعض أنواع الزراعة، بالإضافة إلى وفرة الموارد المائية؛ مما ساهم في وجود الإنتاج الزراعي فيها. وقد كانت الشوبك مأهولة بالسكان منذ زمن الأنباط، إذ بُنيت قلعة الشوبك على بقايا آثار نبطية، يُعتقد أنّها كانت برج مراقبة عسكري لمتابعة الطرق التجارية (Ghawanmeh 2011).

وأظهرت المسوحات الأثرية التي أجريت على سطح الجبل المحيط بالقلعة، أنّ المنطقة قد استوطنتها حضارات عديدة، بما في ذلك:

الأنباط، والصليبيون، الأيوبيون، والمماليك والعثمانيون (Glueck 1952). وتتمتع الشوبك بتحصينات طبيعية، حيث تحيط بها سلسلة

جبال الشراة؛ مما يجعل القلعة محصنة بشكل طبيعي بهذه الجبال. وهنا تبرز الأهمية التاريخية والإستراتيجية لمدينة الشوبك، حيث تنوّعت الحضارات التي استوطنت المنطقة عبر العصور، بدءًا من الأنباط

وصولًا إلى العثمانيين؛ مما يعكس دورها الحيوي كموقع محوري، علاوة على أنّ الموقع الجغرافي للشوبك، المحاط بسلسلة جبال الشراة، منحها

تحصينات طبيعية جعلت منها قلعة حصينة؛ مما يعزز من قدرتها الدفاعية على مر العصور (Ghawanmeh, 1982). وتحدّ الشوبك

من الشرق منطقة الحسينية التابعة لمعان، ومن الغرب أيلة، ومن الشمال البصير<sup>2</sup>، ومن الجنوب معان. وإداريًا، تتبع الشوبك محافظة الكرك،

وتحيط بها سلسلة جبال عالية، من أبرزها جبل القلعة (1500 متر)، جبل أم صوانة (1615 مترًا)، وجبل المنطرة (1320 مترًا). كما تتخللها

العديد من الأودية والسهول، مثل: وادي أبو مخطوب، وادي المالحه، وادي عنيزة، وادي كدقات الزبيب، وادي البلوط. أما السهول التي تتخلل

هذه الأودية، فتشمل سهل الحلسه، وسهل ابن جازي، وسهل البقيرة، وسهل البقيع، وسهل المراعي، لذلك تمتاز الشوبك بمناخها المعتدل في

الصيف والبارد في الشتاء (Al-Rawashdeh, 2002)

#### • أيلة:

توجد بعض الاختلافات حول تسمية مدينة أيلة، حيث نُقلت لها عدة أسماء قديمة، مثل: "أيلات"، "أيلانه"، "أيلون"، "أيلة"، "إلين"، و"عقبة

أيلة". وذكر الفراهيدي أنّ اسم "أيل" بفتح الألف يُطلق على ذكر الوعل، بينما يُطلق على الأنثى اسم "أيلة"، وقد سميت المدينة بذلك لأن الأيل

أو الأيلة يتجهان نحو الجبال للتحصن فيها (Al-Farahidi, 2003). وأشار الطبري إلى أنّ "أيل" بفتح الألف تعني الوعل، أما "إيل" بكسر

الألف فتعني الله بالعبرانية (Al-Tabari, 2000). كما ذكر ابن كثير في تفسيره أنّ كلمة "إيل" تعني الله (Ibn Kathir 1999). أما ابن

منظور فذكر أنّ اسم "إيل" بكسر الألف وتشديد الياء يشير إلى ذكر الوعل، وأنّ "أيلة" هي قرية عربية سميت بذلك لأن أهلها يتوجهون إليها

(Ibn Manzur, 1983).

تدور حول المعنى نفسه وهو المدينة أو القلعة الحصينة. ويُعزى بناء الكرك إلى الملك المؤابي ميشع (Harding, 1971).

بُنيت قلعة الكرك لاحقًا في عصر المؤابيين، واستخدمها الأنباط، ثم الرومان، فالبيزنطيون، إلى أن جاء الفتح الإسلامي على يد القائد أبي

عبدة عامر بن الجراح. ويذكر ابن أبيك أنّ ملك الروم خرج من القسطنطينية في جيش كبير متوجهًا إلى أرض المسلمين، الذين احتموا

في حصن في جبال الشراة يُسمى الكرك. وهذا يدل على أنّ قلعة الكرك قد بُنيت قبل مجيء الإفرنجية، وكانت تحت سلطان الإسلام حتى استولى

عليها الإفرنجية (Ibn Aybak 1961).

تميزت الكرك بموقعها الإستراتيجي على طريق القوافل التجارية عبر العصور، حيث كانت تتبع لها العديد من المدن والمواقع الأخرى، مثل

جرش ومأدبا. وقد أدرك الرومان أهمية موقع الكرك، فأرادوا السيطرة عليها للاستفادة من موقعها في تعزيز اتصالاتهم مع بلاد الشرق

الإسلامي. لذلك، قاموا بشقّ طريق يربط بصرى بأيلة لنقل البضائع الشرقية والإفريقية إليهم، وتصدير بضائعهم إليها. كما سيطر الفرس

على الكرك وإقليم الشراة والبلقاء ووادي موسى والشوبك؛ مما أدى إلى قطع الاتصال بين مصر والشام. وتحيط الأودية بقلعة الكرك من ثلاث

جهات، وكانت المدينة محاطة بسور يحميها من أيّ تهديد أو خطر، كما يفصل بين المدينة والقلعة أخدود عميق محفور في الصخور. وكانت

المدينة عامرة بالسكان، وتتمتع بالاكفاء الذاتي، إذ احتوت على مجموعة من الأسواق والمرافق والمنازل السكنية (Ghawanmeh 2011).

#### • الشوبك:

سُميت الشوبك بعدة أسماء عبر العصور، حيث سُميت في العصر الإفرنجي بـ "مونريال"، التي تعني القلعة الملوكية (Al-Suri 1992)

وتُعتبر الشوبك مدينة حصينة تقع بين الكرك وأيلة، وكانت في الماضي حصنًا قديمًا مهجورًا، لكن أُعيد بناؤه عام 509م (Al-Hamawi 1993). وتُعدّ الشوبك الحدّ الجنوبي لبلاد الشام، حيث تقع على الطريق

التجاري بين الحجاز ومصر والشام، بالإضافة إلى كونها جزءًا من طريق الحج الشامي، الذي يربط مكة المكرمة بالشام (Abu al-Fida 1850). وكانت مدينتنا الشوبك والكرك تعرفان باسم: "كرك الشوبك"؛

نظرًا لتشابههما في الطبيعة الجغرافية والأهمية الإستراتيجية. إذ كانت الشوبك جزءًا من مملكة الكرك خلال فترة سيطرة الإفرنجية، أو تحت

حكم الأيوبيين والمماليك، وظلّت تحت حكم الإفرنجية حتى تمّ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، وهنا يظهر دور المدينة في الصراعات

العسكرية والإستراتيجية في المنطقة (Al-Qalqashandi 1914)

وتُعدّ الشوبك قلعة حصينة تقع في أطراف الشام بين عمّان وأيلة والقلازم<sup>1</sup>. وتُذكر الشوبك كمدينة صغيرة، وتوصف بأنّها أكثر دخولًا في البرّ مقارنةً بمدينة الكرك. (Ibn Fadl 2002) (Ibn Kathir 1988)

وتُعدّ من أهمّ المواقع في جنوب شرق مملكة بيت المقدس، وتتميّز

بالمذاهب والأديان والآراء بين الناس، أم ما يتعلق بالأسواق وأماكن تبادل الأفكار والمعرفة والثقافة (Ghawanmeh 1982).

وقد تنبّه الفرنجة إلى الأهمية الإستراتيجية لموقع جنوب شرق مملكة بيت المقدس، حيث يعتبر خط الدفاع الأول عن بيت المقدس، ضد أيّ تحرك إسلامي موجه إليهم. إضافة إلى ذلك، كان الموقع يتمتع بخصوصية الأرض التي تسمح لبعض أنواع الزراعة، كما يوفر لهم إمكانية السيطرة على الحركة التجارية القادمة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، أو من بلاد الشام إلى مصر والغرب الأوروبي. ومن خلال سيطرتهم على هذا الموقع، كان بإمكانهم منع الاتصال بين مراكز قوة المسلمين في بلاد الشام ومصر والجزيرة العربية. لذا، سعى الفرنجة للسيطرة الكاملة على هذا الموقع الإستراتيجي؛ مما كان له تأثير بالغ في مجريات الأحداث السياسية عبر التاريخ (Al-Suriyani 2004).

#### أولاً: سيرة ذاتية لبلدوين الأول

يُعتبر بلدوين أحد قادة الحملة الإفرنجية الأولى، وُلد عام (1058م) في فرنسا، وهو مؤسس "كونتية الزها". ويعدّ ثاني ملوك مملكة بيت المقدس بعد أخيه جودفري<sup>3</sup>. قاد بلدوين الحملة الإفرنجية نحو الشرق، ونجح في الوصول إلى مدينة الزها، حيث استولى على العديد من القلاع والمواقع في شمال الجزيرة الفراتية، وحقق انتصاراً في الاستيلاء على مدينة تل باشر (Habashi, 1947).

بعد وفاة الملك جودفري عام (1100م)، أُرسِل أسقف الرملة مع اثنين من الفرسان؛ لمقابلة بلدوين وإبلاغه بتوليته السلطة خلفاً لأخيه جودفري، باعتباره الوريث الشرعي لحكم مملكة بيت المقدس، وذلك تنفيذاً لوصية أخيه التي نصّت على أن يتولى بلدوين الحكم. على إثر ذلك، غادر بلدوين مدينة الزها متجهاً إلى بيت المقدس لإتمام هذا التغيير في السلطة (Richard, 1979). (Al-Rihawi, 1986).

يُعتبر بلدوين شخصية سياسية وعسكرية بارزة، حيث استغل الظروف المحيطة به لتحقيق أهدافه على حساب الأحداث الراهنة. ويتضح ذلك من خلال استغلاله للعداء بين أمير طرابلس فخر الملك أبو علي بن محمد بن عمار<sup>4</sup>، وأتابك دمشق دقاق بن تتش بن ألب أرسلان.

<sup>3</sup> جودفري: سمي بجودفروي البوروني؛ لأنه حكم مدينة بولون واشترك في الحملة الصليبية الأولى على بيت المقدس، وقام بحصار مدينة القدس مع الإفرنجية عام 1099م، ويُعدّ أول ملك لمملكة بيت المقدس، وازدادت المملكة قوة في عهده (Al-Suri 1992).

<sup>4</sup> فخر الملك بن عمار: هو آخر خلفاء بني عمار في طرابلس، استلم إمارة طرابلس عام 492هـ/1099م بعد وفاة أخيه جلال الملك أبو الحسن بن عمار، وتزامنت بداية حكمه مع دخول الفرنجة إلى بلاد الشام، ودافع عن مدينة طرابلس مدة سبع سنوات أمام الإفرنجية، وانتهت إمارته لمدينة طرابلس عام 502هـ/1109م. (Salem, 1967).

<sup>5</sup> السلجوقي. سعى بلدوين لتحالف القوى الإفرنجية مع ابن عمار لمواجهة سلاجقة دمشق. ونتيجة لهذا التحالف، نجح بلدوين في الهروب من دقاق أثناء رحلته إلى

<sup>1</sup> القلزم: بلدة كانت على ساحل اليمن في أقصاها من جهة مصر وهي كورة من كور مصر وإليها ينسب بحر القلزم وغرق فرعون بالقرب منها، وبينها وبين مصر ثلاثة أيام (Al-Maqrizi, 1998).

<sup>2</sup> البصير: منطقة تقع بالقرب من موقع بصيرة الأثري، وهي منطقة تمتاز بالطبيعة، وهي محاطة بثلاث جبال. (Al-Muhaisen 2012).

تُعدّ أيلة من أهم المدن الواقعة في جنوب شرق مملكة بيت المقدس، حيث يُرجح أن بداية الاستيطان فيها تعود إلى الأدوميين. وأقدم البقايا الأثرية التي اكتشفت في المدينة، تعود إلى منتصف القرن السابع الميلادي؛ مما يجعلها من المدن التي صُممت وفقاً للنموذج العمراني للمدن الإسلامية السائدة في تلك الحقبة. ومن الملاحظ أنّ بناء مدينة أيلة تزامن مع أحداث سياسية مهمة، مثل انتقال مركز الخلافة العباسية من دمشق إلى بغداد، ثم ظهور الفاطميين كقوة منافسة للدولة العباسية على السلطة (Ghawanmeh, 1984).

مدينة أيلة محاطة بأسوار وأبراج، وهي ذات تخطيط مستطيل الشكل، وتحتوي على أربع بوابات رئيسية. وتضمّ المدينة مجموعة متنوّعة من المباني التي تشمل المنشآت الاقتصادية، والإدارية، والاجتماعية، والدينية، مع وجود مسجد يعتبر نقطة التركيز الرئيسية في المدينة. وهنا يظهر التنظيم العمراني المتقدم لمدينة أيلة، مع التركيز على هيكل المدينة الذي يتضمّن أسواراً وأبراجاً تشكل حماية لها. كما يُظهر التوازن بين مختلف أنواع المباني، من اقتصادية وإدارية إلى اجتماعية ودينية؛ مما يعكس التنوع الوظيفي للمدينة، والأهمية الكبيرة للمسجد في الحياة اليومية للمدينة، حيث كان يشكل مركزاً دينياً واجتماعياً حيوياً للمجتمع المحلي (Whitcomb, 1987).

تتميز مدينة أيلة بموقعها الساحلي؛ مما يمنحها أهمية اقتصادية وتجارية كبيرة. وتقع المدينة على ساحل البحر الأحمر في منطقة تُسمى خليج العقبة حالياً، وتعتبر أيلة أولى مدن الأدوميين على هذا الساحل (Al- Manzlawi, 2010). كما تُعدّ أيلة نافذة الشام على الغرب وتجارها، وكانت منطقة ذات أهمية خلال العصور الإسلامية وحتى الوقت الحاضر. وازدهرت أيلة اقتصادياً في فترة العصر الفاطمي، ثم خلال السيطرة الصليبية، وكذلك في العصور المملوكية والأيوبية. كان يتمّ تحصيل رسوم على البضائع القادمة إلى أيلة، ومن هناك يُعاد تصديرها إلى موانئ أنطاكية، وطرابلس، وبيروت، وصيدا، وصور، وعكا، ثم تُرسل إلى أوروبا. واستمرت أيلة في المساهمة في الحركة التجارية الإسلامية حتى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح (Fahmy 1973).

وساهمت وفرة الدروب والمسالك التي كانت تتمتع بالأمن والطمأنينة، في تنشيط الحركة التجارية الداخلية والخارجية. وكانت مدينة أيلة تضمّ خانات للمسافرين والتجار، مثل: خان القطرانة، وخان الحساء، وخان منطقة ضبعة. وتعتبر الطرق التجارية ملتقى حضارياً وثقافياً، حيث يتمّ عبرها تبادل الأخبار والمعارف الإنسانية، سواء تلك المتعلقة

وبوصول القوات الإفريقية، ما يشير إلى إمكانية اتساع الرقعة التي سيطر عليها بلدين، إذ إن إخلاء هذه المناطق من سكانها؛ أتاح الفرصة لضمها بسهولة إلى مملكته. وقد ذكر الشارترتي أن الإفرنجة، في اليوم الثاني من رحلتهم بتاريخ (25) نوفمبر عام (1100م)، تسلقوا الجبال ووجدوا عدة قرى مهجورة، حيث اختبأ سكانها في كهوف الجبال خوفاً من الفرنجة. كما زاروا موقعاً مقدساً يُعرف بجبل دير سان أرون، وهو الجبل الذي يُعتقد أن موسى وهارون قد تكلموا فيه مع الرب. وأوضح الشارترتي أن المنطقة كانت مزروعة ببعض الأشجار المثمرة، من بينها ما يُعرف بتفاح سدوم أو تفاح البحر الميت، وهو ما قد يكون من عوامل جذب التوسع نحو هذه الجهة؛ لما تحتويه من مقومات حياة كالغذاء. وأضاف أن الفرنجة نعموا في هذا المكان بالراحة والرفاهية؛ نظراً لغناه بالموارد الغذائية. وبعد ذلك، غادروا الوادي عائدين إلى بيت المقدس، حيث عبروا البحر الميت، ومروا بقبري النبيين موسى وهارون، ثم وصلوا إلى بيت لحم، ومنها إلى القدس بتاريخ (21) ديسمبر من العام نفسه (Chartres, 2001).

**ثالثاً: أسباب تقدم بلدين إلى مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس**

● **إحكام حدود الدولة وقطع الدولة الفاطمية عن العالم الإسلامي**  
أدرك بلدين، بعد توليه حكم مملكة بيت المقدس، أن المناطق الواقعة في جنوب شرق المملكة، تُعدّ عرضة للهجمات الإسلامية، وتشكل ممراً محتملاً لتسلل الأعداء. ومن هذا المنطلق، رأى ضرورة بسط سيطرته على تلك المناطق؛ لحماية المملكة وتعزيز أمنها. كما اعتبر أن من الضروري عزل الدولة الفاطمية في مصر عن باقي العالم الإسلامي في بلاد الشام؛ بهدف إضعاف الروابط والتسويق بينها وبين القوى الإسلامية الأخرى في المنطقة. ونستنتج هنا أن بلدين لم يكن حاكماً عادياً، بل قائداً يوازن بين السيطرة العسكرية والسياسة الجغرافية. رأى في السيطرة على مناطق الجنوب الشرقي أداة لحماية المملكة من جهة، ولعزل العدو من جهة أخرى؛ مما يُظهر بوضوح أنه كان يسعى إلى تأسيس كيان مستقر وآمن وليس فقط احتلالاً عابراً (Runciman, 1994).

● **إخراج الجيوش الإسلامية من مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس.**

من الأسباب التي دفعته للتقدم نحو مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، كان عدم وجود حماية لهذه المناطق، حيث استغل بلدين الهدنة القائمة بينه وبين المسلمين بقيادة طغتكين في بلاد الشام، حيث أرسل طغتكين في عام (1107م)، جيشاً إلى جنوب شرق المملكة، وتحديداً إلى منطقة أدوم (Adom)؛ استجابةً لنداء البدو الذين كانوا يعيشون في تلك المنطقة. وكان هدف طغتكين إنشاء قاعدة عسكرية للسيطرة على منطقة يهودا، التي تقع بالقرب من جبل الخليل، وكانت تضم العديد من الأديرة اليونانية. نتيجة لذلك، أرسل الراهب ثيودور رسالة إلى بلدين، يحثه فيها على حماية الأديرة من جيش طغتكين.

مملكة بيت المقدس لاستلام الحكم. بعد فترة حكم استمرت حوالي ثمانية عشر عاماً، توفي بلدين عام 1118م. (Ibn Asakir, 1995), (Ibn Aybak, 1955). وبناء على ما تقدم في حديث ابن ابيك، فإن بلدين أمر ببناء القلاع والحصون مثل الشوبك وأيلة، وتوسعة حدود المملكة، وسيطرته على الطرق التجارية، واتخاذ المواقع الإستراتيجية للجيوش الإفريقية، ولذلك يُعد بلدين حسب رأينا رجلاً سياسياً وعسكرياً قاد الجيوش الإفريقية بنفسه.

**ثانياً: اكتشاف بلدين لمناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس**

بعد تتويج بلدين ملكاً على مملكة بيت المقدس، التي كانت آنذاك ضيقة المساحة، وقليلة المدن، ومحدودة السكان، سعى إلى توسيع رقعة المملكة بهدف تأمينها من مختلف الجهات، والعمل على تطويرها عمرانياً ومدنياً. ولهذا الغرض، قام بلدين برحلات استكشافية بحثاً عن مناطق حيوية يمكن ضمها إلى المملكة. وقد أشار فوشيه الشارترتي<sup>6</sup> إلى أنه رافق بلدين في إحدى هذه الرحلات الاستكشافية نحو جنوب شرق مملكة بيت المقدس، حيث وصف البحر الميت بأنه بحيرة واسعة سُميت "الميت" بسبب خلوها التام من الكائنات الحية. وذكر أن طول هذه البحيرة يبلغ نحو (580) مرحلة<sup>7</sup>، بينما يبلغ عرضها حوالي (150) مرحلة، موضحاً أن ملوحتها الشديدة تمنع أي كائن حي من العيش أو الشرب منها. وقد وصف تجربته قائلاً: "عندما ترجلت عن البغل الذي كنت أمتطيه ودخلت المياه، أخذت شربةً منها بكفي، وحين ذقتها وجدتها شديدة المرارة" (Chartres, 2001).

تتعدى هذه البحيرة من مياه نهر الأردن القادم من الجهة الشمالية، بينما لا تصب فيها أي روافد من الجهة الجنوبية، كما أنه لا ينبع منها أي نهر، فهي بلا مصبات. وتحتوي البحيرة على جبل من الملح يبدو للعيان وكأنه مغطى بالثلج. ويُفسر سبب ملوحة المياه بأن مياه الشاطئ تغسل هذا الجبل المالح، بالإضافة إلى تسرب مياه الأمطار التي تساهم في إذابة ملحه ونقله إلى البحيرة. أما في الجهة الجنوبية من البحيرة، فتقع قرية تُعرف باسم "قرية البلح"، وقد سُميت كذلك نظراً لغزارة إنتاجها لثمار البلح (Chartres, 2001).

<sup>5</sup> دقاق بن نتش بن اترب أرسلان: هو شمس الملوك أبو نصر دقاق بن السلطان تاج الدولة نتش بن السلطان ألب أرسلان، وهو حاكم سلجوقي استلم حكم دمشق بعد وفاة أبيه عام 1095م، وحكم دمشق في الفترة ما بين 487هـ/1095م إلى وفاته عام 497هـ/1104م. (Al-Dhahabi 1981).

<sup>6</sup> فوشيه الشارترتي: ولد فوشيه في مدينة شارتر في فرنسا عام 1058م، وشارك بالحملة الإفريقية الأولى مؤرخاً لها، وأسس إمارة الرها عام 1098م، ثم انتقل مع بلدين عند تتويجه ملكاً لبيت المقدس. واستمر في كتابته عن الحملة الإفريقية إلى وفاته عام 1127م (Chartres, 1990).

<sup>7</sup> المرحلة: هي وحدة قياس تساوي عند الحنفية والمالكية 44,250 كم<sup>2</sup>، وعند الشافعية والحنابلة تساوي 89,04 كم<sup>2</sup>. (Mohammed, 2001)

أشار فوشيه الشارترتي إلى أنه خلال تقدم الإفرنجة في منطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس، فرّ السكان المسلمون من قراهم فور سماعهم

الفلسطيني؛ لضمان التحكم في التجارة واستفادة المملكة من الموارد الاقتصادية المتوافرة في تلك المناطق (Runciman, 1994).

#### رابعاً: سيطرة بلودين على المدن المحيطة ببيت المقدس

كان بلودين يسعى باستمرار إلى توسيع رقعة مملكة بيت المقدس وتعزيز قوتها؛ بهدف تأمينها من مختلف الجهات. ونظراً لقلّة عدد السكان في المملكة، وعودة معظم الحجاج القادمين من الغرب إلى أوطانهم بعد زيارة الأماكن المقدسة، أصبحت المملكة تعاني من نقص في القوة البشرية؛ مما جعل موقفها الدفاعي ضعيفاً وغير مستقر في حال تعرضت لهجوم من المسلمين. لذلك، اعتبر بلودين أنّ التوسّع الإقليمي هو وسيلة ضرورية لبناء قوة عسكرية قادرة على مواجهة أي تهديد. وهنا نجد أنّ بلودين سعى إلى توسيع مملكة بيت المقدس؛ لتعويض ضعفها السكاني، وضمان قدرتها على الدفاع ضدّ الهجمات الإسلامية، وضعف الاستيطان الصليبي جعل المملكة غير مستقرة عسكرياً. رأى بلودين في التوسّع وسيلة لبناء قوة عسكرية دائمة، تعكس سياسته وعياً إستراتيجياً بالتهديدات المحيطة، وضعف الدعم الأوروبي المستمر (Chartier, 2001).

وضع بلودين خطة تهدف إلى توسيع حدود مملكة بيت المقدس؛ من خلال السيطرة على المدن الساحلية الشامية والمناطق المجاورة، وذلك لتسهيل الاتصال مع أوروبا الغربية، التي اعتبرها بمثابة العمق الإستراتيجي للمملكة، سواء من حيث الإمداد بالجنود والسلاح أم تعزيز النشاط التجاري. وانطلاقاً من هذه الرؤية، قاد بلودين حملة عسكرية استهدفت التمدد الجغرافي نحو أرسوف (Arsuf) وقيسارية (Caesarea) وبيروت (Beirut) وصيدا (Sidon)، باستثناء عسقلان (Easqalan) وصور (Suar). (Ibn al-Qalanisi, 1983).

وقد هدف بلودين إلى توسعة مملكة بيت المقدس، سواء بسيطرته على المدن التي يحكمها الفرنجة، أو المدن التي ما زالت تحت حكم المسلمين، فنجده قد أخذ مدينة حيفا (Hayfa) حيث قام بتكريد<sup>8</sup> (Tancred) بتسليمها لبلودين، ثمّ سار إلى أنطاكية (Antakya) بناء على طلب سكانها، إذ بعثوا إليه رسالة قالوا فيها: "لا تتأخر، ولكن احضر إلينا واحكم، وتملك مدينة أنطاكية والأرض الخاضعة لها حتّى يعود أميرنا بوهيموند، سيدنا وسيدك، من الأسر؛ لأنك قريبه، كما أنك جندي شجاع ممتاز كما أنك أقوى منا، وأنت أقدر على حفظ هذه الأرض أحسن منا، وإذا عاد السيد بوهيموند في أي وقت فإنّ الصواب هو الذي سوف يحدث عندئذ". (Chartier, 2001). وبناءً على ذلك ضُمت أنطاكية.

<sup>8</sup> تكريد: هو أحد القادة الصليبيين في الحملة الصليبية الأولى الذي أرسل إلى مدينة القدس، وشارك في حصار مدينة القدس عام 1099م، وكان زعيماً نورمانياً، وتوفّي عام 1112م (Disraeli 2006).

وحيفا إلى حكم بلودين، وبعد ذلك خطّط للاستيلاء على المدن الواقعة تحت سيطرة المسلمين. (Chartier, 2001)

فقرّر بلودين التوجّه إلى المعسكر التركي في وادي موسى، وفي طريقه اقترح الراهب على بلودين أن يتظاهر بالهروب من الجيش الفرنجي، ويصل قبل الجيش إلى طغتكين؛ مما يُخيل لهم أنّ جيش بلودين في الطريق إلى المنطقة. وعندما وصل بلودين إلى طغتكين، أخبره عن قدوم الجيش الفرنجي، مما دفع طغتكين وجيشه إلى الانسحاب خوفاً، وعادوا إلى دمشق، وعندما وصل جيش بلودين إلى وادي موسى، عاقب البدو في المنطقة بحرق كهوفهم والاستيلاء على قطعانهم. كما أخذ في طريق عودته العديد من المسيحيين الذين تعرضوا لهجمات من البدو في تلك المنطقة. وبالتالي، يُعتبر إخراج الجيوش الإسلامية من مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، أحد الأسباب الرئيسية التي دفعته للتقدّم إليها (Runciman, 1994).

#### • توطين الفرنجة:

من أهم الأسباب التي دفعت بلودين للتقدّم نحو مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، كانت توطين الفرنجة فيها. فاتباع بلودين لسياسة إخلاء المنطقة من سكانها الأصليين، وزيادة عدد المهاجرين الأوروبيين إليها، كان له دور كبير في هذه الخطوة. فقد قام بلودين بإرهاب العديد من سكان تلك المناطق، ما جعله مضطراً لاحقاً إلى تأمين هذه المناطق بالمقاتلين والفرسان؛ لحماية السكان الفرنجة من أيّ هجوم خارجي قد يهدّدهم. وهنا نجد أنّ بلودين كان يسعى من خلال هذه السياسات إلى ضمان استقرار المملكة الصليبية في مملكة بيت المقدس من خلال توطين الفرنجة، وإخلاء الأراضي من السكان المحليين، وتأمين الحماية العسكرية، واستغلال الموارد الاقتصادية. كما أنّ استخدامه للإرهاب كأداة لتسريع هذه العملية، يظهر مستوى عالياً من القوة والضغط على السكان المحليين، وتُظهر هذه السياسات بوضوح أنّ بلودين لم يكن فقط مهتماً بتوسيع ملكه جغرافياً، بل كان يهدف إلى توطيد السلطة، وتعزيز الاستقرار الداخلي لمملكته في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية (Rashar, 1994).

#### • الهدف الاقتصادي:

سعى بلودين إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية لمملكة بيت المقدس، خصوصاً في مرحلة تأسيسها المبكرة. فقد كانت نفقات الحملات العسكرية التي قام بها في البداية، تعتمد على أموال الكنائس (Runciman, 1994)؛ مما جعله يسعى إلى الاستقلال المالي وتحسين الوضع الاقتصادي للمملكة. وكان هدفه الأساسي هو ضمان استمرارية التوسع والتمدّد في حدود المملكة، وهذا كان من أهم الأسباب التي دفعته إلى التمدّد الجغرافي نحو مناطق جنوب شرق المملكة. من خلال هذه التوسعات، كان بلودين يسعى للسيطرة على البحر الأحمر، والحدود المصرية، ومناطق شرقي نهر الأردن؛ بهدف التحكم في الطرق التجارية التي تربط بلاد الشام بمصر. ولتحقيق ذلك، قام بتأسيس نقاط مراقبة على هذه الطرق الإستراتيجية، وبنى حصوناً لتثبيت الوجود الفرنجي فيها. كما سيطر على الموانئ التجارية في أبله والساحل

## ● إلى حصن أرسوف:

قام بلدوين بمحاصرة حصن أرسوف بزا وبجرًا، وتمكّن من السيطرة عليه دون قتال بعد مفاوضات مع المسلمين، حيث كان يرى في هذا الحصن تهديدًا حقيقيًا لقوات الفرنجة. ويُعزى إصراره على السيطرة عليه إلى فشل القائد السابق جودفري في إخضاعه. عقب ذلك، توجّه بلدوين إلى مدينة قيسارية، التي كانت محصنة بسور عالٍ صعب على القوات الفرنجية اقتحامها؛ مما دفعه إلى إصدار أوامر بصنع أدوات لاختراق السور، بالإضافة إلى إنشاء أبراج خشبية للهجوم على المدينة. وبعد حصار استمر خمسة عشر يومًا، نجح الجيش الفرنجي في السيطرة عليها (Chartier, 2001).

## ● إلى عكا:

بعد أن سيطر بلدوين على مدينتي قيسارية وأرسوف، اتّجه بجيشه نحو مدينة عكا؛ نظرًا لأهميتها الإستراتيجية والتجارية، حيث كانت ترتبط بعلاقات تجارية قوية مع دمشق، وتُعدّ من أبرز مدن الدولة الفاطمية، ما جعلها تمثل تهديدًا مباشرًا للوجود الفرنجي في بلاد الشام. وكانت تبعيتها للفاطميين تعني إمكانية عزل المملكة الصليبية عن أوروبا الغربية. وبناءً على ذلك، شرع بلدوين في محاصرتها في أبريل من عام (1103م)، إلا أنّ المقاومة الفاطمية كانت عنيفة، حيث دمّرت قواتهم المناجيق والأبراج التي استخدمها الجيش الفرنجي؛ مما أجبر بلدوين على الانسحاب مؤقتًا. لاحقًا، ومع وصول الدعم البحري من الأساطيل الجنوبية والبيزنطية، استأنف بلدوين الحصار من البر والبحر، وواصل الفرنجة هجماتهم المكثفة على المدينة لمدة عشرين يومًا، إلى أن عجز المدافعون المسلمون عن الصمود، فقررروا تسليم المدينة مقابل السماح لسكانها بالخروج بسلام. وبسقوط عكا، فقد الفاطميون أبرز معاقلهم الساحلية، وأصبحت معظم مدن الساحل الشمالي تحت سيطرة الفرنجة (Ibn al-Athir, 2012).

## ● إلى بيروت:

اتّجه بلدوين إلى مدينة بيروت في فبراير من عام (1110م)، فأرضًا حصارًا عليها؛ نظرًا لأهميتها الإستراتيجية الكبيرة بالنسبة للمسلمين، حيث كانت تمثل نقطة فاصلة بين مناطق سيطرة الفرنجة في الشمال والجنوب. وبذلك كانت السيطرة عليها ضرورية لضمان الاتصال بين هاتين المنطقتين. وفي إطار حملته، استولى الفرنجة على السفن الراسية في ميناء بيروت، وقطعوا إمدادات المدينة القادمة من صور وصيدا؛ مما عزز بيروت عن باقي المدن الإسلامية، وسهل من عملية السيطرة عليها. كما استولى الفرنجة على موارد المدينة، خاصة الأخشاب؛ نظرًا لوفرة أشجار الصنوبر في بيروت. حاولت الدولة الفاطمية حماية المدينة بإرسال أسطول لإنقاذها، مما عزز من عزيمة سكان بيروت الذين اشتبكوا مع الجيش الفرنجي، ونجحوا في تدمير الأبراج على سور المدينة. في مواجهة هذه المقاومة، استعان بلدوين بالأسطول الجنوبي الذي رسا في ميناء السويدية، مما مكّنه من قمع المقاومة، وفرض

السيطرة الكاملة على بيروت؛ ليضطر بعدها السكان إلى تسليم المدينة (Ibn al-Qalanisi, 1983).

## ● إلى صيدا:

طمع الملك بلدوين في السيطرة على كافة المدن الساحلية، بما في ذلك مدينة صيدا التي كانت لا تزال تحت الحكم الإسلامي في تلك الفترة. بدأ بلدوين حصار المدينة عام (1106م) كخطوة أولى نحو السيطرة عليها، لكن حاكم صيدا دفع مبلغًا كبيرًا من المال لبلدوين مقابل رفع الحصار والتخلي عن المدينة، وهو ما قبله في البداية (Runciman 1978). ومع ذلك، عاد بلدوين عن قراره في ترك المدينة تحت الحكم الإسلامي، وفي عام (1108م) استغل وصول مجموعة من السفن الإيطالية إلى المنطقة لتكثيف حصاره للمدينة من جهة البحر؛ مما حال دون وصول المساعدات الإسلامية إليها. كما قام بحصار المدينة من البر أيضًا، وبنى أبراجًا خشبية، إلا أنّ سكان المدينة دافعوا عنها بشراسة وحطّموها هذه الأبراج. في النهاية، اضطر بلدوين للانسحاب والتوجه إلى القدس مرة أخرى (Ibn al-Athir, 2012).

في عام (1111م)، استعدّ بلدوين للمرحلة الثالثة من حصار مدينة صيدا، مدعومًا بقوة عسكرية كبيرة. وقد ساعده في ذلك وصول الأسطول النرويجي، الذي دعم الحصار البحري للمدينة، بالإضافة إلى عدم قدرة الأسطول المصري المتمركز في ميناء صيدا على تقديم أيّ دعم. وقد استمرّ الجيش الفرنجي بقيادة بلدوين في بناء الأبراج الخشبية، واستمرّ الحصار لمدة سبعة وأربعين يومًا. في النهاية، سلم أهل المدينة صيدا نتيجة طول الحصار وعجزهم عن صد الهجوم الفرنجي من البر والبحر (Ibn al-Athir, 2012; Ibn al-Qalanisi 1983).

## ● إلى طرابلس:

حاصر بلدوين مدينة طرابلس (Tarablus) لمدة ست سنوات؛ مما أدى إلى هجرة سكان المدينة بسبب الحصار المستمر، وقلة الموارد، وارتفاع الأسعار، فضلًا عن الخوف من جيوش الفرنجة. وقد تمّ دعم الحصار بواسطة الأسطول البحري الجنوبي، الذي قام بقتل بعض المسلمين الذين حاولوا الخروج من المدينة. كما قام الجيش الفرنجي ببناء الأبراج على سور المدينة؛ مما زاد من صعوبة الدفاع عنها. وقد ساهم تأخر وصول الأسطول المصري، في زيادة ضعف المسلمين. وفي النهاية، نهب الفرنجة المدينة، وسبوا النساء والأطفال، وأسروا الرجال، ونهبوا الأموال، وعاقبوا السكان بأشدّ العقوبات. في عام (1109م)، استسلمت المدينة للفرنجة مقابل ضمان الأمان للسكان، حيث توجّه الناجون من بطش الحصار إلى دمشق (Ibn al-Athir, 2012; Ibn al-Qalanisi, 1983).

امتلك الجيش الفرنجي بقيادة بلدوين قوة عسكرية كافية لفرض سيطرته على المناطق المجاورة للبحر الميت، ووادي موسى، ووادي الأردن. وفي عام (1103م)، تمكن بلدوين من الوصول إلى البحر الأحمر، حيث شرع الفرنجة في بناء عدد من القلاع المهمة، مثل: قلعة

**سادساً: احتلال بلدين مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس**

أدرك الفرنجة منذ وصولهم إلى منطقة بيت المقدس، الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية للمنطقة الواقعة جنوب شرق مملكة بيت المقدس. ولهذا، سعى بلدين إلى فرض سيطرته عليها، فتوجه عام (1115م) نحو وادي عربة (Wadi Araba) بهدف احتلاله بشكل دائم. بدأ رحلته انطلاقاً من القدس مروراً بمدينة الخليل (Alkhalil)، ثم دار حول الطرف الجنوبي للبحر الميت، وصولاً إلى صحراء وادي عربة، حيث بلغ منطقة الشوبك (Al-shoubak)، وهي منطقة ذات خصوبة عالية رغم طبيعتها الجرداء، وكانت بعيدة نسبياً عن أقرب مستوطنة فرنجية، إذ تفصلها عنها مسافة تقارب (100) ميل، وقام بلدين ببناء حصن كبير ومتين في الشوبك، أطلق عليه اسم "الجبل الملكي"، وزوّده بالجنود والأسلحة، ثم زاره مجدداً بعد عام محملاً بالمؤن، رغبةً منه في الإقامة به لفترة، وتعزيز نفوذه في المناطق الصحراوية النائية المتاخمة لشبه الجزيرة العربية. بعد الشوبك، تابع بلدين طريقه إلى العقبة، حيث استراح مع مرافقيه قرب الساحل، واستمتعوا بالاستحمام وصيد الأسماك، ما أثار ذعر السكان المحليين، ودفعهم إلى الفرار في قواربهم. وبهذا، احتلّ بلدين العقبة دون مقاومة تذكر، وأطلق عليها اسم "إيليا" أو "أيلين"، وقام بتحصينها بقلعة قوية. ولم يكتفِ بذلك، بل أبحر لاحقاً إلى جزيرة فرعون باتجاه مصر، وشيّد هناك حصناً آخر ترك فيه حامية عسكرية؛ مما مكّنه من التحكم في الطرق التجارية والعسكرية التي تربط بين دمشق وشبه الجزيرة العربية ومصر. وأصبح بإمكانه بسهولة قطع طرق القوافل الإسلامية، وإغلاق ممرات الجيوش المتجهة إلى مصر من الشرق. وفي عام (1142م)، استولى الفرنجة على حصن الكرك، فقاموا بتجديد بنائه وتوسيعه؛ مما عزز من وجودهم في المنطقة. وبهذا، تمكنوا من فرض سيطرة فعالة على حركة المسلمين بين دمشق والقاهرة والعراق، بالإضافة إلى السيطرة على منطقة نهر الأردن بالكامل (Runciman, 1994).

<sup>9</sup> زُغر: هي قرية تقع في غور الأردن الجنوبي (غور الصافي) من الجهة الغربية لمدينة الكرك بالقرب من مصب وادي الحسا، وفيها عين ماء صغيرة وضئيلة، وسميت بزُغر من كلمة (زغيرة) أي صغيرة، وهي دلالة على عين الماء الصغيرة. (Burchard, 2016)

تعدّ روافد نهر الأردن والأنهار الصغيرة الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي من الأراضي التي تُشكّل اليوم حدود المملكة الأردنية، جزءاً من الحدود الشرقية لمملكة بيت المقدس الفرنجية. وكانت مناطق مثل: طبريا، والجولان، وأراضي السواد، تخضع لسيادة مشتركة بين المسلمين والفرنجة، الأمر الذي ساعد على امتداد النفوذ الفرنجي ليشمل مناطق عمان ومعان جنوب نهر الزرقاء وصولاً إلى البحر الأحمر، حيث أصبحت تعرف بمناطق "ما وراء النهر". أما الصحراء الأردنية، فقد شكّلت الحدود الشرقية للمملكة، ويبدو أنّ الفرنجة سعوا من خلال هذا التوسع إلى تأمين الطريق الرئيسي المؤدي إلى العقبة على البحر الأحمر. وعند تلك النقطة، تلاشت الحدود تدريجياً في عمق الصحراء، التي أصبحت تُعرف لاحقاً بـ"الصحراء الكبرى" بعد أن فقدت كثافتها السكانية منذ نهاية النفوذ البيزنطي فيها. وقد تمكنت المملكة الفرنجية، خلال فترة زمنية قصيرة، من بسط سيطرتها بشكل متصل من خليج الإسكندرون في الشمال، حتى خليج العقبة وسواحل البحر الأحمر في الجنوب. ويظهر هذا التوسع رغبة إستراتيجية واضحة في التحكم بطرق التجارة البرية والبحرية، فضلاً عن المواقع الحيوية، إذ مثّلت الصحراء حاجزاً طبيعياً وحداً دفاعياً مهماً رغم ندرة السكان. ومن خلال هذا الامتداد، ضمنت المملكة الفرنجية ربطاً جغرافياً وعسكرياً بين موانئ الجنوب والمراكز الشمالية في بلاد الشام (Brauer, 2001).

الشوبك، وقلعة أيل، كما أعادوا استخدام قلعة الكرك لأغراض دفاعية. وفي المناطق الساحلية الفلسطينية، أنشأ بلدين قلعتين في غزة، بالإضافة إلى قلعة الداروم؛ بهدف عزل عسقلان عن محيطها. كما اعتمد على التضاريس الطبيعية في تعزيز تحصينات المدن الخاضعة لسيطرته، إذ استفاد من جبل غلافيان في حماية بيروت، وجبل شقيف لحماية صور، وجبل إسكندرون لحماية صيدا، في حين كانت مدينة القدس مؤمنةً بـتحصينات بيت نوبا وبيت جبرين. وقد شكّلت هذه الشبكة من القلاع الهيكل الدفاعي والعسكري الرئيسي لمملكة بيت المقدس (Rachar, 1994).

احتفظ بلدين بسيطرته المباشرة على المدن الرئيسية في مملكة بيت المقدس، مثل: القدس، ونابلس، وعكا، وصور، بالإضافة إلى عدد من القلاع والقرى. أما باقي الإقطاعات، فقد منحها لعدد من الفرسان والقادة العسكريين، شرط أن يتولوا مسؤولية الدفاع عنها، وأن يظلّ ولاؤهم الكامل له. وقد أدت هذه القلاع دوراً محورياً في ترسيخ الوجود الصليبي، إذ شكّلت إحدى الركائز الأساسية التي استندت إليها سلطة الفرنجة في مملكة بيت المقدس (Rachar, 1994).

**خامساً: بداية سيطرة بلدين وتوجهه إلى جنوب شرق مملكة بيت المقدس**

فرض بلدين سيطرته على المناطق الواقعة على الساحل الفلسطيني، مما أدى إلى قطع خطوط الاتصال بين المدن الإسلامية في بلاد الشام والدولة الفاطمية في مصر، وهو ما مكّنه من التحكم في طرق التجارة البرية والبحرية بين مصر وبلاد الشام. وقد بدأت هذه السيطرة بالتوسع في جنوب شرق مملكة بيت المقدس، انطلاقاً من منطقة وادي عربة، ثم تقدّم نحو الشوبك، حيث أنشأ فيها حصن الشوبك عام (1115م)، ليكون قاعدة إستراتيجية للفرنجة في الجهة الجنوبية الشرقية من المملكة، تُستخدم لمراقبة التحركات الإسلامية، سواء أكانت ذات طابع تجاري أم عسكري. وفي عام (1116م)، شنّ بلدين حملة جديدة في ذات الاتجاه، حيث وصل إلى منطقة أيل الساحلية الواقعة على خليج العقبة، واستولى عليها دون مقاومة تذكر من السكان المحليين، فأسس فيها قلعة أيل لتكون مركزاً للرصد والاستكشاف. وبهذا ضمن بلدين تأمين حدود المملكة الجنوبية الشرقية، من خلال بسط نفوذه على الصحراء الممتدة جنوب البحر الميت وحتى خليج العقبة، في المنطقة المعروفة بوادي عربة (Mayer, 1990).

واصل بلدين توغله في جنوب شرق مملكة بيت المقدس، حتى وصل إلى منطقة زُغر<sup>9</sup>، الواقعة في الطرف الجنوبي للبحر الميت، التي تتميز بأرضها المالحة. وخلال مسيره من جبال الشراة إلى جبل هارون في مدينة البتراء، نفّذ الجيش الفرنجي عمليات تخريب وحرق واسعة في القرى الواقعة على طريقه؛ مما بثّ الذعر في نفوس سكان تلك المناطق، وأدّى إلى حالة من الفزع العام نتيجة ممارسات الجيش أثناء الحملة (Runciman, 1994).

**سابعاً: مقاومة سكان المناطق لبلدوين**

خلال تقدّمه العسكري، واجه بلدوين جماعات من السكّان المحليين، من بينهم قبيلة ثريا التي كانت تستقرّ في مناطق وادي الأردن. فقاد حملة ليلية مباحة ضدهم على رأس سرية من جيشه، حيث قضى على معظم رجال القبيلة، وأسر نساءهم وأطفالهم، واستولى على ممتلكاتهم. وكان من بين الأسرى زوجة شيخ القبيلة، وكانت على وشك الوضع، وحين علم بلدوين بذلك، أمر بإطلاق سراحها مع خادماتها وتافتيين بالإضافة إلى كميات وفيرة من الطعام والشراب. هذا التصرف ساهم في انتشار سمعته في المنطقة؛ مما دفع عدداً من الوفود إلى القدوم إليه وتقديم الهدايا أملاً في الإفراج عن الأسرى، ومن بينهم دقاق الدمشقي الذي عرض فدية مالية بلغت خمسين ألف بيزنت مقابل إطلاق سراحهم (Runciman, 1994).

**• لماذا لم يتدخل حكام المسلمين في تمدد بلدوين؟**

لم تؤدّ الخلافة العباسية دوراً فعالاً في مواجهة التمدد الصليبي بقيادة بلدوين نحو مدن بلاد الشام، حيث سقطت هذه المدن تباعاً في أيدي الصليبيين. ويُعزى نجاح الحملة الصليبية إلى حالة الانقسام السياسي التي كانت سائدة آنذاك بين الخلافتين العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة. هذا الانقسام أضعف السلطة المركزية في العالم الإسلامي؛ مما أدى إلى غياب التنسيق والتدخل الفعال لصدّ الزحف الصليبي، وتُظهر هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي هشاشة البنية السياسية في المشرق الإسلامي، حيث أدى الانقسام بين القوتين الإسلاميتين الكبيرتين، العباسية والفاطمية، دوراً محورياً في تسهيل تقدّم القوات الصليبية. فالخلاف بين بغداد والقاهرة لم يكن مجرد تنافس مذهبي أو سياسي، بل أدى إلى حالة من الشلل العسكري والإستراتيجي، إذ غابت الجبهة الإسلامية الموحدة القادرة على التصدي للخطر الخارجي. لذا، يمكن القول إن العامل الذاتي المتمثل في الصراع الداخلي بين الخلافت الإسلامية، كان أحد الأسباب الرئيسية التي مهّدت الطريق أمام النجاحات المبكرة للصليبيين في بلاد الشام (Mahmoud, 2008).

ويُعزى سبب عدم تدخل حكام الشام، مثل طغتكين، في مواجهة التمدد الفرنجي بقيادة بلدوين نحو مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، إلى توقيع هدنة بين الطرفين أواخر عام (1108م). ووفقاً لما ذكره ابن الأثير، فقد دامت هذه الهدنة أربع سنوات، بينما تشير بعض المصادر إلى أنها امتدّت لعشر سنوات. جاءت هذه الهدنة بعد مراسلات بين بلدوين وطغتكين، وأسفرت عن اتفاق يقضي بتقاسم العائدات من منطقتي السواد وجبل عوف في شماليّ الأردن؛ بحيث يحصل بلدوين على الثلث، وطغتكين على الثلث الآخر، ويُخصّص الثلث الأخير لسكان المنطقة المحليين (Ibn al-Qalānisi, 1983; Ibn al-Athīr, 2012).

ورغم التزام الطرفين بالهدنة، أقدم طغتكين على محاولة السيطرة على حصن عرقّة التابع لمنطقة طرابلس، الذي كان تحت سيطرة غلام

تابع لفخر الملك أبي علي بن عمار، حاكم طرابلس. ويُعد هذا الحصن من الحصون القوية التي لم يتمكن الفرنجة من الاستيلاء عليها سابقاً. غير أنّ الحصار الطويل الذي فرض عليه أثقل كاهل حاكم طرابلس، فبعث برسالة إلى طغتكين جاء فيها: "أرسل من يستلم هذا الحصن منّي، فقد عجزت عن حفظه، ولأنّ يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخره من أنّ يأخذه الفرنج". استجابة لذلك، أرسل طغتكين رجلاً يدعى إسرائيل برفقة ثلاثمئة جندي، فتسلّم الحصن، ثم قتل غلام ابن عمار حتى لا يُكشف ما في الحصن من أموال. بعدها، قاد طغتكين جيشاً مكوناً من أربعة آلاف فارس متوجّهاً نحو الحصن، ونجح في فتح عدد من حصون الفرنجة في طريقه، منها حصن الأكمة. لكن الفرنجة تصدّوا له وتمكنوا من هزيمته؛ مما اضطره إلى الفرار مع جنوده إلى دمشق، فاستعاد الفرنجة السيطرة على حصن عرقّة. ولتفادي التصعيد، أرسل طغتكين رسالة إلى بلدوين جاء فيها: "لا تظنّ أنّني قد نقضت الهدنة بسبب ما لحق بك من الهزيمة؛ فإن الملوك تصيبيهم النكبات، ثم تعود أمورهم إلى الانتظام والاستقامة". وقد هدفت هذه الرسالة إلى تهدئة الموقف وضمان استمرار الهدنة خشية قيام بلدوين بغزو دمشق (Ibn al-Qalānisi, 1983; Ibn al-Athīr, 2012).

**الخاتمة:**

تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل التمدد الجغرافي للملك بلدوين الأول، نحو مناطق جنوب شرق مملكة بيت المقدس، مسلطاً الضوء على الأبعاد السياسية والعسكرية والاقتصادية التي دفعت نحو هذا التوسع. وقد تبين أنّ بلدوين لم يكن يسعى فقط إلى السيطرة العسكرية، بل كان يعمل ضمن مشروع استيطاني متكامل يستهدف ترسيخ الوجود الصليبي في مفاصل إستراتيجية بالمنطقة، مثل: الكرك والشويك وأيلة؛ بهدف تأمين طرق التجارة والحج، وفرض واقع سياسي جديد يخدم مصالح مملكة بيت المقدس.

كما أظهرت الدراسة أنّ نجاح بلدوين في هذا التوسع، لم يكن بمعزل عن حالة الضعف التي كانت تمرّ بها القوى الإسلامية آنذاك، وعلى رأسها الخلافة العباسية والفاطمية، حيث شكّل غياب التنسيق بين هاتين القوتين عاملاً رئيسياً في تسهيل السيطرة الصليبية. من هنا، يتّضح أنّ العامل الذاتي داخل العالم الإسلامي، متمثلاً في الانقسام السياسي، كان لا يقلّ أثرًا عن العامل الخارجي المتمثل في القوة العسكرية الصليبية.

إنّ هذا البحث لا يقدّم مجرد استعراض تاريخي للأحداث، بل يهدف إلى إعادة قراءة تلك المرحلة الحساسة من تاريخ المنطقة، من خلال ربط المعطيات الجغرافية بالعوامل السياسية والعسكرية؛ مما يساهم في فهم أعمق لطبيعة المشروع الصليبي وأدواته، ويفتح الباب أمام دراسات أوسع تستكمل البحث في أبعاده الحضارية والاجتماعية.

**النتائج:**

10. al-Manzalawi, 'A. (2010). *The development of Aqaba through four thousand years*. Dar Kunuz al-Ma'rifah al-'Ilmiyyah. 25.
11. al-Maqrizi, T. A. A. b. 'Ali. (1998). *Al-mawa'iz wa al-i'tibar bi dhikr al-khitat wa al-athar* (M. Zaynhum & M. al-Sharqawi, Eds., Vol. 1). Maktabat Madbuli. 595.
12. al-Maqrizi, T. A. A. b. 'Ali. (2006). *Al-muqaffa al-kabir* (M. al-Ya'laawi, Ed., 2nd ed., Vol. 3). Dar al-Gharb al-Islami. 54.
13. al-Muhaysin, Z. (2012). *The Nabataean civilization*. Hamadeh Institution. 18.
14. al-Muqaddasi, A. A. M. (1909). *Ahsan al-taqasim fi ma'rifat al-aqalim*. Brill Press. 242.
15. al-Naqqar, M. (2002). *Internal and external trade in the Islamic world during the medieval period* (1st ed.). Dar al-Masar for Publishing and Distribution. 87.
16. al-Qalqashandi, S. A. A. b. 'Ali. (1914). *Subh al-a'shā fi shīnā'at al-inshā'*. Dar al-Kutub al-Khidiwiyyah, al-Amiriyyah Press. 155–156.
17. al-Rawashdeh, M. (2002). *Shoubak: Land and people*. Ministry of Culture Publications. 33–38.
18. al-Ruhawi. (1986). *Tarikh al-ruhawi al-majhul* (A. Abuna, Trans., Vol. 2). 82. (بلا دار نشر)
19. al-Safadi, S. D. K. (1955). *Umara' dimashq fi al-islam* (S. D. al-Munajjid, Ed.). 32. (بلا دار نشر)
20. al-Sarjani, R. (2008). *The story of the Crusades* (1st ed.). Iqra' Publishing and Translation. 256.
21. al-Sa'd, A. S. (1997). *The socioeconomic history of Egypt* (1st ed.). Ibn Khaldun Publishing House. 273.
22. al-Suri, W. (1992). *al-Hurub al-salibiyya* (H. Habashi, Trans., Vol. 2). Egyptian General Book Organization. 150–371.
23. al-Suryani, M. M. (2004). The stations of the Syrian pilgrimage route in Jordan: A study in historical geography. *King Abdul Aziz Foundation (Darah)*, 30(1), 129–130.
24. al-Tabari, M. b. J. b. Y. (2000). *Tafsir al-tabari* (A. M. Shakir, Ed.). Mu'assasat al-Risalah. 553.
25. al-'Arid, W. (2021). Evliya Çelebi in the Jordanian Desert. In K. al-'Aynīn & K. al-Sarhān (Eds.), *The culture of the Jordanian desert* (pp. 139–148). Afaq Foundation for Studies, Publishing, and Communication.
26. Albert of Aachen. (2013). *History of the journey to Jerusalem* (S. B. Edgington, Trans., Vol. 2). Queen Mary, University of London. 12.
27. Bowersock, G. (1983). *Roman Arabia*. Harvard University Press. 103.
28. Burchard. (2016). *Description of the Holy Land* (S. al-Bishawi, Trans., 1st ed.). Dar al-Shuruq. 118.
29. Disraeli, B. (2006). *Tancred, or the new crusade* (D. Widger, Prod.). Project Gutenberg eBooks. 76.

- تحديد الأهمية الجغرافية والإستراتيجية لمنطقة جنوب شرق مملكة بيت المقدس، وبيان دورها المحوري كمر للتجارة والحج بين مصر والشام والجزيرة العربية، وهو ما جعلها هدفاً إستراتيجياً للسيطرة الصليبية.
- توضيح دوافع بلدين الأول في التمدد الجغرافي نحو هذه المناطق، التي لم تكن عسكرية فقط، بل تضمنت أبعاداً سياسية لعزل القوى الإسلامية، واقتصادية لضمان مصادر تمويل مستدامة للمملكة الناشئة.
- إبراز دور القلاع والتحصينات مثل: (الكرك والشوبك وأيلة)، في ترسيخ السيطرة الصليبية على المناطق المحتلة، وإدارتها بشكل يعكس وعياً إستراتيجياً بخطورة الموقع وأهميته.
- تحليل ضعف ردود الفعل الإسلامية في تلك المرحلة، وربط ذلك بعوامل داخلية مثل: التنازع الفاطمي-العباسي، والهدنات المؤقتة، والانقسامات السياسية؛ مما فتح المجال أمام التوسع الصليبي دون مقاومة فعالة.
- تقديم قراءة جديدة للتوسع الصليبي بوصفه مشروعاً منظماً ذا طابع استيطاني طويل الأمد، لا يقتصر على الحملات العسكرية، بل بناء منظومة حكم وإدارة وسيطرة مستمرة.

## References:

1. Abu al-Fida', 'I. al-D. I. b. Muhammad. (1850). *Taqwim al-buldan* (Baron Mac Guckin de Slane & Reinaud, Eds.). Dar Sader. 225–237.
2. al-Bishawi, S. (2012). *Church properties in the Crusader Kingdom of Jerusalem (1099–1291 AD / 492–690 AH)*. Dar al-Shayma' for Publishing and Distribution. 60.
3. al-Buhairi, S. al-D. (1994). *Geography of Jordan* (2nd ed., No. 41). Publications of the Jordan History Committee. 27–28.
4. al-Chartari, F. (1990). *Tarikh al-hamla ila al-quds* (Z. al-'Asli, Trans.). Dar al-Shuruq. 10–11.
5. al-Chartari, F. (2001). *al-Isitan al-salibi fi filastin* (Q. 'Abdu Qasim, Trans.). Dar al-Shuruq. 163–170.
6. al-Dhahabi, Sh. D. M. b. A. b. 'U. (1981). *Siyar a'lam al-nubala'* (S. al-Arna'ut, Ed., Vol. 19). Mu'assasat al-Risalah. 210–211.
7. al-Faqir, N. M. (2012). The relics of the Messenger of God Lot (Peace Be Upon Him): In the Dead Sea, Ma'ab, al-Rabba; including the shrine of Abu 'Abd Allah al-Hashimi, the blessed spring of Zughar, and scholars from Zughar. *Ministry of Awqaf and Islamic Affairs*, 56(9).
8. al-Farahidi, A. 'A. K. b. Ahmad. (2003). *Kitab al-'ayn* ('A. H. Hindawi, Ed.). Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah. 106.
9. al-Hamawi, Sh. A. A. Y. b. 'A. (1993). *Mu'jam al-buldan* (Vol. 3). Dar Sader. 370.

44. Ibn Battuta, A. A. M. (2003). *Ibn Battuta wa rahala-tuhu* (H. Mu'nis, Ed.). Dar al-Ma'arif. 46–47.
45. Ibn Fadl Allah al-'Umari, S. D. (2002). *Masalik al-absar fi mamalik al-amsar* (Vol. 3, 1st ed.). Cultural Foundation. 550.
46. Ibn Kathir, 'I. al-D. A. I. b. 'Umar. (1988). *Al-bidayah wa al-nihayah* ('A. Shiri, Ed., 1st ed., Vol. 1). Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi. 202.
47. Ibn Kathir, 'I. al-D. A. I. b. 'Umar. (1999). *Tafsir ibn kathir* (S. b. Muhammad, Ed., 2nd ed.). Dar Taybah li-l-Nashr. 338.
48. Ibn Manzur, M. b. Makram A. F. (1983). *Lisan al-'arab*. Dar Sader. 190.
49. Ibn 'Asakir, A. Q. 'A. b. al-Hasan. (1995). *Tarikh madinat dimashq* ('U. b. Gharamah al-'Umari, Ed., Vol. 17). 304. (بلا دار نشر)
50. Khuraysat, M. (1985). The role of Arab Christian tribes in the conquests. In *Proceedings of the Fourth International Conference on the History of Bilad al-Sham (Bilad al-Sham in Early Islam)* (Vol. 2, p. 135). University of Jordan.
51. Khuraysat, M., et al. (2000). *Lectures on the history and civilization of Jordan*. Hamadeh Institution for University Services and Studies. 79.
52. Mahmoud, H. S. (2008). *The Crusader Kingdom of Jerusalem during the reign of King Baldwin I* (1st ed.). Dar Al-'Alam Al-'Arabi. 75–76.
53. Mayer, H. E. (1990). *The Crusades: A history* ('I. al-Din Ghanem, Trans.). Publications of al-Fateh University Complex. 116.
54. Muhammad, 'A. J. (2001). *Legal measures and weights* (3rd ed.). al-Quds for Advertising, Publishing, and Marketing. 97.
55. Muhasina, M. H. (2000). *Pages from the history and civilization of Jordan* (1st ed.). Ministry of Culture. 122.
56. Praver, J. (2001). *The Crusader settlement in Palestine: The Latin Kingdom of Jerusalem* ('A. al-Banna, Trans., 1st ed.). 'Ayn for Human and Social Studies. 63–67.
57. Richard, J. (2001). *The Crusades, c. 1071–c. 1291* (J. Birrell, Trans.). Cambridge University Press.
30. Fahmi, N. Z. (2010). *International trade routes and their stations between East and West (Late Middle Ages)*. General Egyptian Book Organization. 150–151.
31. Fiema, Z. (1991). *Economics, administration and demography of Late Roman and Byzantine Southern Transjordan*. Department of Anthropology, University of Utah. 12.
32. Fiema, Z. (1992). The Islamic conquest of Southern Jordan: A new research perspective. *Annual of the Department of Antiquities of Jordan (ADAJ)*, 36, 325.
33. Ghawanmeh, Y. (1982). *The cultural history of Eastern Jordan in the Mamluk Era* (2nd ed.). Dar al-Fikr for Publishing and Distribution. 52–251.
34. Ghawanmeh, Y. (1984). *Ayla (Aqaba) and the Red Sea: Its strategic and historical importance* (1st ed.). Dar Hisham for Publishing and Distribution. 13–73.
35. Ghawanmeh, Y. (2011). *The Ayyubid Principality of Karak*. Ministry of Culture. 45–388.
36. Glueck, N. (1952). Exploration in Eastern Palestine. *Annual of the American Schools of Oriental Research (AASOR)*, 15, 89.
37. Habashi, H. (1947). *The First Crusade* (1st ed.). Dar al-Fikr al-'Arabi. 45.
38. Harding, L. (1971). *Antiquities of Jordan* (S. Musa, Trans.). Publications of the Jordanian Committee for Arabization, Translation, and Publication. 44.
39. Hitti, P. (1959). *History of Syria, Lebanon and Palestine* (K. al-Yaziji, Trans.; G. Jabbur, Rev.; Vol. 2). Dar al-Thaqafa. 281.
40. Ibn al-Athir, 'I. A. A. H. (2012). *Al-kamil fi al-tarikh* ('U. 'A. Tadmuri, Ed., Vol. 8). Dar al-Kitab al-'Arabi. 495–584.
41. Ibn al-Qalanisi, A. Y. H. (1983). *Tarikh dimashq li-ibn al-qalanisi* (S. Zakkar, Ed., 1st ed.). Dar Hassan for Printing and Publishing. 224–274.
42. Ibn al-Wardi, Z. A. H. (1939). *Kharidat al-'aja'ib wa faridat al-ghara'ib*. al-Maktabah al-Sha'biyyah. 37.
43. Ibn Aybak al-Dawadari, A. B. A. A. A. (1961). *Kanz al-durar wa jami' al-ghurar* (S. D. al-Munajjid, Ed., Vol. 6). Department of Islamic Studies at the German Institute of Archaeology. 206.